أسرار الأهرامات

لقد قام رئيس وزراء الاتحاد السوفييتي (نيكيتا خروتشوف) برحلة إلى مصر لمدة ستة عشر يوماً خلال عام 1974 وقد كان سبب تلك الزيارة مناسبة إتمام المرحلة الأولى من السد العالي الذي بنيَ بمساعدة الاتحاد السوفييتي.

وقبل رجوعه إلى الوطن وقف خروتشوف على باب فندق (ميناهاوس) الشهير الذي بنيَ في عام 1869 في أسفل الهضبة العالية التي بنيت عليها أهرامات الجيزة وقد شهد ذلك الفندق ملوكاً ورؤساء دول من جميع أنحاء العالم كضيوف. وفي عام 1943 عقد فيه اجتماع القمة بين تشرشل وروزفلت وشان كاي شيك. (وقد زار الرئيس البريطاني والرئيس الصيني هرم خوفو أما روزفلت فقد رفض زيارته مع الشكر).

في اليوم التالي لوصول خروتشوف عين له يوم على برنامج زيارته لزيارة الهرم ولكن حدث أنْ صلت برقية من موسكو في نفس ذلك اليوم وقد كانت المخابرات السوفييتية تنصح خروتشوف بعدم دخول الهرم وانصاع خروتشوف للنصيحة ورفض الذهاب إلى الهرم ولكن لم يحدث أي تفسير لهذا الحادث فماذا كان البوليس السري السوفييتي يخشى يا ترى؟.

لقد مضى أكثر من قرن والعلماء من جميع أنحاء العالم يفكرون بالأهرامات وهي الأعجوبة العالمية الوحيدة الباقية دون أن تمس، وقد عملت أول القياسات الدقيقة للأهرامات في نهاية القرن التاسع عشر ومنذ ذلك العهد فقد تبددت تلك الفكرة القائلة بأن الأهرامات قد بنيت في مكانها صدفة ودون أي سبب.

كان (صنفرو) أول فرعون أراد أن يبني لنفسه أهرامات حقيقية ولكن الهيكل الخارجي للهرم الذي بدئ به قرب (ميدوم) لم يتم لأن صنفرو نقل مركز عاصمته إلى الشمال ولذلك فقد أمر ببناء هرم آخر في داشور شمال صقارة وكان علوه 97 متراً وأما خليفتا صنفرو وهما خوفو وخفرع فقد بنيا أهرامهما قرب الجيزة وأما ددفرع فقد بنى هرمه قرب (أبو روشن) وعاد منقرع وبنى هرمه في الجيزة. وفي زمن الأسرة الخامسة أنشئت أهرامات ساحور وخلال الأسرة السادسة بدأ الفراعنة بناء الأهرامات قرب أبو صير. وهنالك 69 هرماً رئيسياً في مصر الآن فهل كانت هذه البنايات مجرد قبور أم هل هناك سر مغلق لا يزال يكتنف هذه المنشآت المعمارية الفردية.

لقد اعتقد عالم الآثار المصرية المعروف رتشارد ليبسيوس أن كل فرعون كان يضع الحجر الأساسي لأهرامه في بداية حكمه وبعد ذلك يبدأ في توسيع العمل بشكل يشبه إلى أبعد ما تكون الحلقات السنوية والتي تشير إلى عمر الشجرة ولكن وكما حدث في كثير من النظريات الخاصة، فإن البحث العلمي الحديث نقض هذا الاعتقاد فقد كان إنشاء الهرم يتم التفكير به وتخطيطه قبل وضع أي حجر من أحجاره وهذا الاستنتاج صحيح لا يتغير رغم المؤشرات التي تشير إلى إعادة النظر في خطط التنفيذ أثناء الإنشاء والعمل.

وعلى هذا فقد تغيرت خطط تصميم هرم خوفو مثلاً ثلاث مرات خلال العشرين عاماً التي استغرقها البناء ولكن الاتجاه الجغرافي ظل ثابتاً وكانت أولى القياسات التي أجريت بأدوات معقدة قامت بها الحكومة المصرية عام 1925 وقد أذهلت النتائج الخبراء الذين قاموا بتكرار القياس والشيء المذهل هو أنهم وجدوا أن أكبر انحراف للبوصلة عن أربع الجهات الأصلية هو 1/ 13 من الدرجة فقط وكان هذا الانحراف فقط في الجانب الشرقي للمحور الهرمي الشمالي الجنوبي.

لم يكن عند المصريين القدماء أي معرفة بالبوصلة ولكن لم يستطع أحد أن يفسر كيف أن 3 . 1 مليون قطعة من حجر الجرانيت وزن كل واحدة منها حوالي 16 طن يمكن أن توضع بجانب بعضها وفوق بعضها بتلك الدقة المتناهية حتى إنَّ الانحراف عن المخطط الأصلي البالغ طوله 23 متراً لم يتجاوز كسر الميلمتر مع عدم

وجود أي طين أو بلاط بين خطوط اتصال الأحجار بعضها ببعض ومع عدم وجود أي شق ولو بعرض سنتمتر واحد بين كل حجرين، ولا مندوحة لنا عن ذكر الأحجار الكلسية التي وضعت على قمة البناء الأساسي وهذا يجعلنا نتأكد أن هنالك تفسيراً آخر لتلك الدقة في القياسات لذلك البناء الضخم.

عندما كان الفرعون يقيس:

كانت وحدة القياس المصرية الأساسية هي الذراع وهي مؤلفة من سبعة أيْدٍ (واليد الواحدة هي قياس أربع أصابع) والأصبع يقابله 1.9 سنتيمتر وبذلك تكون اليد 7.5 سنتيمتر والذراع 52.5 سنتيمتر. وكانت القياسات تجري بواسطة عصا طولها ذراع وقد بقيت هذه العصي حتى الآن وكانت القياسات تجري بواسطة الحبال.

وإن استعمال كلا الواسطتين أي العصي والحبال كان عرضةً للأخطاء في حاصل القياس فالحبال معرضة للتقلبات في درجة الحرارة والرطوبة ويمكن أن تتقلص أو تتمدد ولكن كيف استطاع المصريون أن يتدبروا أمر الدقة في القياسات بمثل هذه الأدوات غير المناسبة.

ونحن نعلم كيف أحرزوا الدقة في بناء الأهرامات فهنالك ورقة بردي (رايند) المحفوظة الآن في متحف لندن تحتوي أمثلة عن كيفية القياس وهي تظهر أن المصريين كانوا يستعملون التوابع المثلثية منذ عام 3000 ق. م وتظهر الورقة أيضاً عدة أسئلة في الرياضيات مؤسسة على إنشاء الهرم والتي يمكننا أن نستنتج منها بسهولة أن المصريين لم يعرفوا كيفية قياس الزوايا حتى المملكة المتوسطة تقريباً فتدرّج انحدار الهرم لا يعبر عنه بالدرجات بل وحدات القياس وذلك بحساب فرق الإزاحة بين الأحجار في القمة والأحجار في القعر فإذا كانت زاوية الهرم 5 – $^{1}/_{4}$ يد فمعنى ذلك أن الصف الثاني من الحجارة قد ارجع إلى الخلف 5 – $^{1}/_{4}$ (يد) أي 39.4 سنتيمتراً أو $^{1}/_{25}$ بالنسبة للصف الأول وقد استعمل المصريون الكسور البسيطة فقط مثل $^{1}/_{4}$ أو $^{1}/_{5}$ أو $^{1}/_{25}$ وهكذا فقد كان طرح هذه الكسور البسيطة من الأعداد الصحيحة ينتج عنه كسور أخرى مثلاً: $2 - {}^{1}/_{4} = 1\,{}^{3}/_{4}$ أو $2 - {}^{1}/_{5} = 1\,{}^{4}/_{5}$

إذا درسنا الحسابات في ورق بردي رايند يبرز معنا شيء واحد وهو أن مخطط أرض الهرم وعلوه قد أعطيت بأعدادٍ صحيحة بينما التدرج في الانحدار يعبر عنها أحياناً بكسور معقدة مثلاً المسألة رقم 56 في الوثيقة القديمة (عمرها 3700 عاماً) أعطي طول الهرم بـ360 ذراعاً وبعد ذلك طلب حساب التدرج الانحداري الذي يمكن حسابه باستعمال 5 – 25/ 1 (يد وذلك لأن الطول والعلو غالباً ما تعطى بأعدادٍ صحيحة في أمثلة رياضية أخرى ولا شك أن الأهرام المصرية بشكل عام (ما عدا القديمة جداً منها) لم تكن أعمالاً اعتباطية ولكن أجساماً هندسية قيست بعناية وعملت لها تصاميم قبل بنائها.

ولكن كيف تطور هذا الشكل الهرمي فهذا الشكل لا يتفق مع فكرة المصريين المثالية بالنسبة للجمال. فنحن لا نستطيع أن نرى إلا سطحين في وقت واحد وفوق ذلك فإن الانحراف المنظور يميل إلى أن يشوش الناظر ولا نستطيع مهما امتد بنا الخيال أن نعتبر أن اختيار ذلك الشكل الخاص كان لتسهيل قطع الحجارة المستعملة وتحضيرها في البناء وذلك يجعلنا نقف أمام نظريتين وهما أن ذلك الشكل قد صمم أما ليكون رمزياً أو ليكون وظيفياً عملياً فعالاً.

إنَّه لأمر عفوي أن ندعو الأهرامات سلالم إلى السماء، فالنتائج للبحث المستفيض يجب أن تكون مؤسسة على المصادفات وذلك لاعتبار تلك التفسيرات صحيحة ظاهرياً.

إن جميع سطوح الهرم المصري يمكن رؤيتها في نفس الوقت فقط من الأعلى أي من الجو ولذلك فإن الشمس والضوء والإشعاع أو القوى الكونية الأخرى يبدو أنها قد لعبت دوراً في إنشائها. فالعالم البريطاني الدكتور براون لاندون الذي درس هندسة الأهرامات المعمارية لمدة اثنين وعشرين عاماً أثبت أن الشمس لها علاقة مباشرة ببناءِ الهرم فخط الأساس في هرم خوفو طوله عبارة 24. 365 ذراعاً وهذا هو عدد أيام السنة الشمسية فهل هذا هو لعبة بالأرقام أم مجرد مصادفة.

وإذا رجعنا القهقرى ونظرنا إلى أصل علم الفلك فمن الواضح أن الشمس والقمر كانا هما الباعثين لنشوء علم التنجيم وذلك بتتابع ظهورهما في السماء

وتأثيرهما الظاهر على الحوادث هنا على الأرض فإذا كانت الشمس قادرة على فتح كأس الزهرة في الصباح والقمر على إغلاق الكأس في الليل فمن الأكيد أن يد القدرة الإلهية كانت قادرة على تدبير وتقرير أعمال البشر أيضاً.

فالشمس والقمر كانا أول كوكبين يقدمان للمصريين نظاماً فلكياً وبعد الملاحظة الدقيقة استطاع المصريون أن يضيفوا خمسة كواكب أخرى كانت تتحرك في السماء مثل الشمس والقمر مع التفاوت في شدة اللمعان واللون وهذه الكواكب هي: زحل والمريخ وعطارد والزهرة والمشتري وهكذا كانت الكواكب السبعة هي أول سبعة آلهة وهي أصل العدد المقدس (7).

المرصد:

إن العالم الفلكي البريطاني (رتشارد بركتور) الذي قضى عدة سنوات في البحث في هرم خوفو قال في كتابه الهرم الكبير: إذا أدركنا أنَّهُ في زمن الفرعون خوفو أن علم الفلك لم يكن إلا علم التنجيم وهو جزء هام من الديانة فعندها نفهم لماذا كوم المصريون تلك الكتل الهائلة من الصخور.

اعتقد بروكتور أنه قبل زمن خوفو كان الهرم عبارة عن هضبة هائلة عالية وصلت إلى مقصورة الملك في الهرم في الصف الحجري الخمسين وأن هذه الهضبة كانت تستعمل لأعمال الرصد. وبقدر ما تبدو النظرية تافهة من أول نظرة فليس هنالك من شك أن علم الفلك لعب دوراً لا بأس به في كيفية بناء الأهرام فإن أحد مداخل المقصورة الملكية في هرم خوفو يطل على نجوم معينة في أوقات معينة فهل هذه الحقيقة هي مجرد مصادفة يا ترى.

وقد ذهب دنكان مكنوجتون إلى أبعد من ذلك فقد اعتقد أن مداخل الأهرامات ما هي إلا أمكنة لرصد سيروس وأن تلك النجمة يمكن أن ترى أثناء النهار حين يكون مسارها يتحرك بين خط العرض 26ْ و 18ْ دقيقة والخط 28ْ درجة 18 ودقيقة في القسم الجنوبي من الكرة الأرضية. وكان سيروس أو (سوذيس) هو أهم نجم وذلك لأن ظهوره كان إيذاناً ببدء السنة الجديدة وفيضان النيل.

إن ظهور النجم سيروس في السماء قبل شروق الشمس يشير إلى بداية موسم الفيضان. وقد أكد العالم الهولندي (فان دير ويردون) الذي اهتم بدراسة أصول علم الفلك، بأن مصر قبل أن تقدم للعالم السنة الشمسية المؤلفة من 365 يوماً كانت السنة فيها مقسمة إلى دورة مؤلفة من ثلاثة فصول تبدأ بالفيضان وتشتمل فصل البذار وفصل الحصاد ثم استبدلت هذه السنة بسنة شمسية تتألف من اثنَيْ عشر شهراً وكل شهر ثلاثون يوماً مع وجود خمسة أيام كبيسة بحيث تصبح مجموع أيام السنة 365 يوماً ولكن بما أن السنة الشمسية الكاملة تزيد ستة ساعات على الـ 365 يوماً وهكذا يصبح الفرق يوماً كاملاً كل أربع سنوات وكانت بداية السنة المصرية تتراوح بين جميع الفصول بمرور القرون بل آلاف السنين كانت الفصول مقسمة إلى ثلاث فترات كل فترة أربعة أشهر وكانت أول أربعة أشهر تدعى أشهر الفيضان وأربعة الأشهر الثانية تدعى أشهر النمو والأربعة الثالثة كانت تدعى أشهر الحرارة.

وإن رصد موقع الهرم بالنسبة للشمس والظل تظهر أن المصريين كانوا يعيّنون النقاط الفلكية التوجيهية خلال السنة فالمثلث الشمالي للهرم يقع تماماً في الظل أثناء النصف الأول من السنة ولكن عندما تبدأ الشمس بالشروق من الشمال الشرقي والغروب من الشمال الغربي أثناء النصف الثاني من السنة فعندها يقع ضوء الشمس على الجانب الشمالي من الهرم. وهنالك فترتا انتقال عندما يكون نصف الجانب الشمالي في الظل والنصف الثاني في الشمس وهذا يحدث قبل أسبوعين من الاعتدال الربيعي وبعد أسبوعين من الاعتدال الخريفي وكان التأثير البصري مؤثراً في التاريخ القديم عندما كانت أحجار الأهرامات جديدة ولامعة.

وكان من السهل نسبياً حساب التقاويم في الماضي والمستقبل والتي تتألف السنة فيها من 365 يوماً ولكن تعيين يوم لأجل بعض الأعياد الدينية التي من المفروض ان تقع في فصل معين من فصول السنة، إنَّ تعيين ذلك اليوم كان من الصعوبة بمكان ولكن الكهنة أخيراً بادروا لحل المشكلة بتعيين تواريخ للأعياد كل سنة من جديد وقد بقي التقويم المصري ساري المفعول حتى زمن اغسطس (من 63 ق. م ـ 14م) وهو أول

إمبراطور روماني عندما بدؤوا بزيادة يوم واحد كل أربع سنوات في الإسكندرية - حيث ولد أول تقويم إسكندري ولكن طبقاً لما ذكره العالم الفلكي بطليموس (حوالي 14م) والجداول الفلكية المصرية التي يرجع تاريخها إلى الأباطرة الرومان فإن كلا التقويمين كانا يستعملان جنباً إلى جنب لعدة قرون والحقيقة أن التقويم المصري قد أصلح قبل أغسطس بحوالي قرنين فالعلماء والكهنة والسياسيون الذين نشطوا في مدينة (كانوباس) شمال الإسكندرية والمشهورة بالموحى الذي كان فيها معبد سيرابيس قرر هؤلاء في عام 238 ق. م أن يضيفوا ست ساعات لسنتهم ولكن مرسوم كانوباس لم يوضع حيز التنفيذ حتى عهد أغسطس.

النجوم والمعجزات:

إن علم الفلك لم يكن أصلاً موجهاً للبحث العلمي بل كان عوناً للتوجيه الذرائعي خلال مسيرة الزمن السرمدي فإلى أين يستطيع الإنسان أن ينظر إلا إلى السماء لمعرفة الأشياء الثابتة والأنظمة والفترات الزمنية؟ وليس من العجيب أن نرى نجماً نلاحظه من مدة أشهر يختفي فجأة ثم يعود ليظهر بعد سبعين يوماً مثلاً.

لقد كان الشاعر اليوناني (هيسيود) تلميذاً ومريداً ومبشراً بالتعاليم المصرية القديمة وفي كتابه (في الأعمال والأيام) يصف أوجه النجوم والكواكب وقد كتب عن نهاية الشتاء يقول: «بعد ستين يوماً من دوران الشمس ينهي (زفس) أيام الشتاء وبعد ذلك يترك النجم Arecturus اركتورس طوفان أوقيانوس المقدّس وراءه ثم يشرق لأول مرة لا معاً متألقاً فوق الشفق الأحمر».

ولقد سجلت الأرصاد الأولية عن النجوم في أول تقويم حققه الإنسان وهو التقويم المصري الذي يرجع تاريخه إلى القرن العشرين قبل الميلاد ومن الغرابة أنه أي التقويم كان منقوشاً داخل غطاء أحد التوابيت وقد كان الإيمان بالحياة الآخرة قوياً جداً حتى إنّ القبور جهزت ليس بالطعام فحسب ولكن بالتقويم أيضاً.

وفي هذه التقاويم هنالك ذكر للنجوم التي لها علاقة بالزمن والتشكيلات النجمية الأخرى وهي تظهر أن المصريين عرفوا ستّاً وثلاثين مجموعة من النجوم

والدائرة التي تدور فيها الشمس ظاهرياً قسمت إلى ستَّةٍ وثلاثين جزءاً وبما أن علم الفلك بدأ بقياس الزمن لذلك أصبح علم الفلك هو علم التنجيم بالنسبة للكهنة والسحرة وقد احتوت كثير من المعابد والقبور صوراً تعبر عن النجوم كما هي الحال في معبد (أدفو) و (إسنة) و (ودندارا) وفي قبور رعمسيس الثاني وسيتي الأول وسينموت وهو (مستشار حتشبسوت).

بينما نجد أن علم التنجيم لا يزال موجوداً إلا أن علم ارتياد الأهرامات قد نسي مع أن كلا العلمين كانا يقفان جنباً إلى جنب لعدة قرون فما السبب يا ترى.

هنالك تفسير بسيط وهو أن معظم الشعوب كانت تعرف وتمارس علم التنجيم في حين أن علم الأهرامات لا يمكن أن يمارس إلا في مصر فمصر هي المكان الوحيد الذي تتوفَّر فيه الأهرامات (ما عدا بلاد المكسيك حيث توجد أهرامات ولكن بأشكال هندسية مختلفة) فالمعاينة الشفوفية للأهرامات وهي فحص الأهرامات بتعريضها لنور يخترقها باستعمال أجهزة قياس حديثة فضلاً عن الأبحاث شبه العلمية التي لم تظهر إلا في النصف الثاني من القرن الماضي.

معنى وهدف الإنشاءات الهندسية:

إن الهندسة الرمزية للهرم الكبير أثارت اهتمام العلماء في جميع أنحاء العالم فتخطيط أرضية الهرم مربعة وأمَّا البناء نفسه فهو بشكل مثلث رمزاً للثالوث المقدس (اوزيريس، إيزيس وحورس) وهو يرتفع فوق المربع الذي هو رمز القضايا المادية وبما أن المصريين قد رأوا أن الموت هو أسمى مسبب للشعور بالواجب والتأمل الذهني لذلك جعلوا الموت يمثل بالمثلث الذي هو فوق المربع أي فوق القضايا المادية وهذا ما يجعلنا نعترف بقصدهم الرمزي هذا. ولكن هنالك تفسير محتمل لشكل الهرم الفريد وهو أنه قد أنشئَ كصرح معماري له وظيفته ليعكس المعرفة العلمية التي كان يمتلكها الكهنة والسحرة وبهذا يخضعون الفرعون في قبره لتأثيرات معينة محدودة. وقد آمن الفيلسوف اليوناني بلوتينوس (205 ـ 257م) بهذه النظرية وكان قد أخبر عن وجود عبادات سرية في مصر القديمة ومع اعتقاده بهذه النظرية إلا أنه لم يقدم أي تفاصيل

وقد برر هذا النقص في المعرفة بأن ادعى أن هنالك قانوناً لدى أولئك المتعبدين المصريين ألاَّ يخونوا أو يفضوا بأسرارهم لا حد من غير المريدين وكل من يخالف هذه القوانين يعاقب بالموت لكلا الشخصيْن الذي يخون والشخص الذي تسلم له المعلومات الجديدة المحظورة الإذاعة. وقد كتب العالم البريطاني (سينيت) بتوسع عن الاحتفالات في تلك العبادات السرية بقوله:

كان المبتدئون يخضعون لفحوص رهيبة للتثبت من قدرتهم على التحمل وشجاعتهم وذكائهم وكانت المخدرات والضرب المبرح تسبق الضغط النفسي الذي يوحي للمبتدئ بأنه سوف يسقط في هوة سحيقة أو أن الصخور سوف تسحق جسمه وتهشمه أو أنه سوف يسير فوق جسر متأرجح أو خلال جدران من نار أو أنه سوف يغرق أو أن الحيوانات سوف تهاجمه، مثل هذه الشعائر والطقوس الاحتفالية قد صورت في معبد (فيلا) وبعكس النقوش البارزة الطبيعية المصرية الأخرى، نرى أن هذه النقوش رمزية تشير إلى السرية التامة في العبادات.

ويذكر وليم كنجز لاند في كتابه (الهرم الكبير بين الحقيقة والنظريات): إنه من المحتمل أن تكون تلك الاحتفالات قد عقدت في إحدى المقاصير الجانبية الكثيرة العدد في الأهرامات وبعض كتب الموتى تحتوي على بعض التلميحات بأنه من المحتمل أن يكون ذلك صحيحاً وهي تذكر القوى المعادية المخيفة والرهيبَة التي يجب على الأموات أن يواجهوها قبل أن يسمح لهم بدخول مملكة أوزيريس.

الاختلال العقلي في المقصورة الملكية:

هل من الممكن أن يساء استعمال الأهرامات في الاحتفالات التعبدية؟ بالتأكيد إنَّ هنالك كثيراً من الشواهد على تأكيد النظرية وليس هنالك فعلاً أي شاهد يناقض ذلك وذلك لأن الفرعون كان دائماً مطلعاً على الأمور من الداخل ولما كانت طقوس الدفن والاهتمام بالموتى هي من اختصاص الكهنة والسحرة فلم يكن أمراً غير عادي أن تعقد تلك الطقوس السرية داخل تلك الصروح الضخمة (الأهرامات) ويبقى السؤال مفتوحاً دون جواب وهو هل كانت تلك الطقوس حقيقة تجري تحت تأثير المخدرات والضرب المبرح وهل كانت هذه الأشياء تستعمل حقيقة يا ترى؟

وكما رأينا سابقاً فإن شكل الهرم لا يؤثر على قضية تحنيط جثث الموتى وحفظها فقد برهنت التجارب على الحيوانات وعلى بعض أجزاء الجثث البشرية أن الأجسام بقيت محفوظة في داخل الأهرامات لأسباب لم تفسر بعد وبالطبع فإن هذه الاكتشافات الحديثة نسبياً لا يجب أن تفاجئ أحداً خصوصاً إذا أخذنا بعين الاعتبار المجهودات التي تبذل لحفظ تلك الجثث ومن المشجع أيضاً أن نلاحظ أن عمليات التحنيط بدأت بشكل عمليٍّ بعد أن امتنع الفراعنة عن بناء أهرامات جديدة وحتى ذلك العهد كانت العمليات التحنيطية البسيطة تفي بالغرض.

هنالك ملاحظة أخرى لم تفسر أيضاً وهي أن البقاء لمدة طويلة داخل الأهرامات يؤثّر تأثيراً سيئاً على التوازن العقلي فهل هذا هو السبب الذي جعل المخابرات السوفييتية تحذر خروتشوف من دخول هرم خوفو؟ إنّ الرجل الإنكليزي المدعو بول برنتون وهو ليس عالماً بالحضارة المصرية ولا بعلْمِ التخاطر قد فحص هذه الظاهرة بإمعان أكثر فقد طلب هذا الرجل إذناً من السلطات في القاهرة بالدخول إلى المقصورة الملكية في هرم خوفو وقضاء ليلة كاملة هناك وبعد تردد رق قلب رئيس شرطة القاهرة لإلحاح هذا الرجل ورجائه المتواصل فوافق على هذا الطلب وسمح له بقضاء ليلة داخل الهرم.

قضى برنتون الساعات الأولى من الليل في الدهليز العالي الضيق الذي يؤدي إلى المقصورة الملكية وبعد قضاء هذه المدة جلس في زاوية من زوايا المقصورة وفجأة شعر كما لو أنه أصبح عاجزاً عن التفكير بصفاء ثم أغلق عينيه واستسلم للرؤى والأحلام المزعجة وقد كتب بعد ذلك يقول «إن الخوف والفزع والرعب أظهرت لي بإلحاح الحقائق المرعبة فما شعرت إلا ويداي قد شدتا بإحكام دون إرادتي كأنهما في ملزمة وكانت عيناي مطبقتين ولكن تلك الأشكال والخيالات الرمادية كانت تنساب أمامي رغم إطباقِ عيني وتندفع كأنها الضفادع وتدخل في مجال الرؤية الداخلية وكنت أشعر دائماً بدائرة من المخلوقات المعادية تحيط بي وهي مخلوقات ضخمة تشبه عناصر الطبيعة الهائلة، أشباح مفزعة ظهرت من العالم السفلي، أشكال متنافرة، مجانين أشباح ضخمة شيطانية كانت تمر باستمرار من حولي مما سبب لي شعوراً بالغثيان».

لقد مارس هذا المستكشف عدة مغامرات في حياته ولكنه في هـذه المرة كـاد أن يصاب بالانـهيار العصبي فقـد شـعر أن عضلاتـه قـد تصلبـت فلـم يسـتطع أن يتحـرك بسهولة وقد شَعَرَ أن قوى مشؤومة شريرة كانت تشد حواسـه الخمـس وقـد اخـرج فـي اليوم التالي وهو خائر القوى .

من المحتمل أن العوامل العاطفية طبعاً قد لعبت دورهـا هنـا حتـى بالنسـبة لمغـامر مثل (بول برنتون) ومن ثم فمن من الناس يستطيع أن يستمتع بقضـاء ليلـة منفـردة فـي مقصورة قبر خوفو في هرمه يا ترى؟ ولكن هنا لك شهود كثر شـهدوا ظواهـر مشـابهة خلال النهار وعلى مرأى كثير من الناس .

يقول المؤلف : إنَّ آخر مرة زار بها هرم خوفو كان في عام 1972 وقد قابل عدداً من أعضاء البعثة السياحية الألمانية الذين أدخلهم المرشدون المصريون إلى الأهرامات . فهنالك سيدة إسبانية التحقت بالبعثـة السـياحية وفـي أثنـاء الجولـة بـدأت هـذه السـيدة بالصراخ فجأة في النهاية العليا للدهليز الكبـير المؤدي لمقصـورة الفرعـون ثـم انـهارت وهي على جسر المشاة ولم تستطع الحركة وبصعوبة بالغـة نقلـت إلـى المخـرج السـفلي للبهو وعندما أصبحت خارج المكان خفت وطأة التشنج فسأل المؤلف هـذه السـيدة إذا كانت تستطيع أن تفسر الحادث أو إذا كـان قـد حـدث لـها حـادث مشـابه قبـلاً ولكنـها كانت مشوشة تماماً عندما قالت «لقد شعرت كما لو أن شيئاً ضربني فجأة» وفيمـا بعـد أخبرني المرشد أن مثل هذه الحوادث طالما تحدث .

وهنالك الدكتور (مورتون) مؤلف كتاب «خلال ميادين التوراة» وصف كيف انه وقع فريسة هذه القوى الغريبة أثناء زيارتـه لـهرم خوفـو وقـد كـان مورتـون قـد قـام برحلة جماعية فأصيب بشعور من الذعر بينما كان في المقصورة الملكية ، وقد شعر بأنه على وشك الإغماء وبدأ يزحف على يديه ورجليه حتى خرج من المكان .

موت رائدين من مستكشفي الأهرام:

لقد مات اثنان من علماء الآثار كانا قد أمضيا سنوات في الأهرامـات وقـد كـان موتهما مفاجئاً تماماً بشكل جعل حتى المتشككين يربطون حادثـة موتـهما بعملـهما فـي الاستكشافات وكذلك فإن عالم الآثار البريطاني السير فلندرزبيتري ، الـذي كـان مـن اكثر العلماء تمكناً وتضلعـاً فـي نظريـات الأهـرام ، قـد مـات دون أن يتوقـع أحـد ذلـك

ودون أن يعرف سبب موته في مدينة القدس في فلسطين عام 1942 وهو في طريقه إلى وطنه من القاهرة.

وقد كانت وفاة بيتري بعد وفاة زميله جورج ريزيز بقليل وكان عالم الآثار الأميركي ريزنز قد عثر على لقيات هامة في العشرينيّات والثلاثينيّات من هذا القرن وبين أشياء أخرى اكتشف ريزيز قبر أم الفرعون خوفو وهي هيتيفير Heetephere وكان قبراً مجهزاً تجهيزاً فاخراً يقع على مسافة من هرم خوفو وفي عام 1939 أذاع أول إذاعة له من داخل المقصورة الملكية في هرم خوفو وكان موته في ربيع عام 1942 لا يقل إثارةً عن إذاعته من داخل الهرم فقد انهار ريزنز وهو داخل الهرم وظل مستلقياً هناك وكأنه قد أصيب بالشلل وقد سحب إلى خارج الهرم من خلال الدهليز الضيق هناك ثم نقل إلى خيام التنقيب حيث يحفظ علماء الآثار تجهيزاتهم وقد مات هناك دون أن يستعيد وعيه ومنذ هذه الوفيات الغامضة التي حدثت عام 1942 بدأ العلماء يدرسون جدياً الدلائل الفيزيائية داخل الأهرامات. ولكن العلماء الفيزيائيّين هم جماعة متزنون مشهورون بالاعتدال وضبط النفس وعندما بدؤوا البحث عن أسرار الأهرام نسوا كل ما كان معروفاً عن التقاليد التاريخية والهندسة الرمزية وبدؤوا يبحثون عن تأثيرات شكل الهرم ووظائفه وكانت المشكلة التي بدؤوا بمعالجتها هي هل أن شكل الهرم يجذب أي إشعاعات كونية أو ذبذبات مغناطيسية أو أي أمواج طاقة مجهولة وهل يعمل شكل الهرم كمكثف أو عدسة لاقطة لبعض أشكال الطاقة أي هل كان الكهنة المصريون القدماء يعرفون طرقاً وأساليب لتحرير طاقات هائلة من عقالها.

إن إحدى الأخطاء التي يقع بها بعض الناس في هذا العصر أنهم يعتقدون أن الإنسان قد وصل إلى القمة بالنسبة للاكتشافات أي إنَّ كل شيءٍ قد اكتشف ولكن الحقيقة أننا لا نزال في البداية فكل حرب تعلمنا أشياء جديدة فقد كان فردريك انجلز يعتقد في عام 1978 أن الحرب الفرنسية البروسية (حرب السبعين) كانت قمة الحروب التقنية وذلك لاختراع المدافع البعيدة المدى في تلك الأيام ونحن في هذه الأيام تعترينا الابتسامة عندما نفكر بتلك الملاحظة الساذجة.

عندما أسقطت أول قنبلة ذرية على هيروشيما وناجازاكي أرسل قائد القوى الجوية الأميركية الجنرال كارل سباتز برقية إلى البنتاغون بدأت كما يلي: «إن القنبلة

الذرية قد قررت مصير الحرب الجوية نهائياً» منذ تلك الحادثة أصبح الديناميت يعتبر مادة من طراز قديم وحتى الطاقة الذرية لم تعد أحدث أدوات التدمير إذ أصبحت أشعة الموت هي أحدث اكتشاف وهي ما يدعوه العلماء أشعة (لايزر) وهي توسيع وتطوير للأشعة الضوئية بواسطة انبعاث قوى الإشعاع.

إن كل هذه الأشياء هي أشكال مختلفة من الطاقة قد أوجب وجودها الحرب، التي هي «أب لكل الأشياء» كما قال الفيلسوف اليوناني هيراكليتوس وفي الحقيقة يجب أن نعترفَ إنه إذا أخضعنا هذه الأشياء للفحص الفيزيائي العلمي فإننا نجد أن مبدأ استعمال هذه الطاقة هو أسهل بكثير من الكهربائية فكم من التجهيزات المعقدة تلزم لتوليد الطاقة الكهربائية بينما من جهة أخرى نجد أن أشعة (لايزر) التي يمكن أن تستعمل لعمل أي شيء تقريباً في هذه الأيام من حفر الأنفاق إلى إنجاز عمليات العين، هذه الأشعة ما هي إلا تطوير وتقوية للضوء. وأما ما يدعى (مدافع لايزر) فهي عبارة عن حزمة من الأشعة الضوئية مكثفة تَقْوى من خلال انبعاث ذرات وجزيئات نشطة فعندها يخلق ضوء جديد يزيد عشرة ملايين مرة في لمعانه وصفائه عن ضوء الشمس العادي.

أشعة لايزر ليست سراً من الأسرار:

عندما بدأ فريق من الباحثين في تنفيذ أول تجربة لإنتاج أشعة لايزر عام 1960 سبب هذا الحدث المثير ضجة وإثارة في العالم فقد بدأت كلمة (لايزر) السحرية تظهر في كل مكان في الصحف، في التلفزيون في الجامعات وفي مخابر البحث وفي الاجتماعات والمؤتمرات والآن دعونا نفترض أن الدكتور ثيودور ميمان وهو رئيس فريق مشروع الأبحاث في ماليبو التابعة لشركة (هوجس) المشرفة على المشروع لنفرض أن هذا العالم قام بعملية غسل دماغ لزملائه ولمن ساعده من العمال وأجبرهم على الصمت التام وعدم إذاعة أي شيء عن هذا الاختراع وذلك بأن هدد أي عالم يفشي هذا السر بالموت ثم أقفل على زملائه وعزلهم عن الناس طيلة حياتهم ففي هذه الحالة يمكن للدكتور ميمان وزملائه أن يقوموا لمدة عشرات السنين بإجراء تجارب وتطبيقات جديدة لهذا الشكل من أشكال الطاقة. وبعد زمن وسنوات طويلة عندما يكتشف أمر هؤلاء الفيزيائيّين المخبولين ويتهمون بالزندقة والكفر فإنه من الممكن أن يكشف النقاب عن أنبوب زجاجي فضي حلزوني يحتوي على مقياس مدرج لونه

أحمر داكن (ياقوتي) لا يستطيع أحد تفسير وظائف هذا الجهاز ولا يستطيع أحد أن يصل إلى التفكير بأن هذا الجهاز الحلزوني هو الجزء المركزي لمدفع (لايزر) وبالطبع سيكون هنالك أشكال أخرى من الطاقة قد اكتشفت في أثناء ذلك ولكن علماء (ماليبو) سيكونون قد نقلوا أسرار أشعة لايزر معهم إلى قبورهم.

إن كون الفكرة سخيفة ليست قضية الحوادث نفسها ولكن المهم هو الفرضيات التي تكمن داخلها فليس هنالك بالحقيقة عملية غسل دماغ ولا تهديدات بالموت وليس هنالك من علماء محجوزين أو مسجونين في (ماليبو) ولكن كل هذه المقدمات المفقودة وجدت في مصر القديمة حيث كان الكهنة والسحرة يحكمون شعباً مطيعاً لا يعرف غير الطاعة لأن ما يعلمه وينجزه الكهنة كان فوق مستوى عقلية وقوة تخيل ذلك الشعب العادي البسيط وقوَّة تخيُّلِه ونحن غالباً ما نميل في هذه الأيام للتقليل من شأن الإمكانية العلمية لهذا الشعب الذي يعتبر أذكى شعب في تاريخ الحضارة.

ذكر الدكتور عمر جحود الذي نفذ في عام 1969 داخل هرم خوفو التحاليل التي أجريت بواسطة العقل الإلكتروني وهي إحدى تجارب لويس أفاريز الإشعاعية) حول الأشعة الكونية داخل ذلك الصرح (البالغ من العمر ثلاثة الآلاف وخمسمائة عام) ذكر هذا العالم أن ما يحدث داخل الأهرامات يناقض كل ما هو معروف من قوانين العلم والإلكترونيات.

وقد تكلم الدكتور جحود حول تحليل الأشرطة المغناطيسية التي سجلت عليها التأثيرات الإشعاعية داخل المقصورة الملكية فالنبضات أمكن تسجيلها بصرياً وصوتياً وقد أظهر مقياس الشدة الضوئية بوضوح خطوطاً ورموزاً وأشكالاً هندسية ولكن ذلك لم يكن ما أدهش الفيزيائي بل ما أدهشه فعلاً هو أن الرموز والأشكال الهندسية كانت تتغير وتتبدل يوماً بعد يوم رغم أنه كان يستعمل نفس الأدوات وفي نفس حالات العمل. وقد صرح الدكتور جحود لمراسل جريدة نيويورك تايمس بقوله «إما أن هنالك خطأ رئيسيّاً في هندسة الهرم كان يؤثر على قياساتنا أو أننا نعالج لغزاً محيراً لا يستطيع العقل البشري إدراكه ويمكنك أن تطلق عليه ما شئت من أسماء: غموض

أو أسرار أو لعنة الفراعنة، أو السحر وعلى أي حال فهنالك قوة تعمل داخل الأهرامات تناقض جميع القوانين العلمية».

لا علم فيزياء النجوم ولا علم التخاطر قد أصبحت قادرة على معرفة كنه هذه القوى التي تعمل داخل الأهرامات فهل هي طاقة نفسية وإشعاعات مادية او شكل من أشكال الطاقة لم يفكر بها أحد بعد لمجرد أنها ليست متوقعة أن تكون في ذلك المكان.

الأشعة السينية ترسل وميضها من الفضاء:

أحياناً يعثر العلماء على اكتشافات عرضية تعطي لمعاناً أو تلميحاً عن أسرار فيزياء النجوم وقد ذكرت إحدى صحف ميونخ في ألمانيا التقرير التالي في 9 آذار 1973 «الأشعة السينية تلمع من هيركوليس». «ومضة في نظام مزدوج للنجوم تسبب تأثيرات غريبة» ففي كل 23783 . 1 ثانية تصل الأرض لمعة من تشكيلة من النجوم تدعى تشكيلة هيركوليس وقد نقل هذه الومضات القمر الصناعي (أوهورو) وهذا القمر مجهز بأعقد الآلات لكشف الأشعة السينية وهو يفحص الفضاء فوق الغلاف الأرضي بدقة متناهية للتفتيش عن مصادر جديدة للأشعة السينية وقد وجد هذا القمر بنتيجة الفحص كثيراً من مصادر الأشعة السينية حتى إنَّ هذه الأشعة لم تعد من الأشعة النادرة في الوقت الحاضر.

إن الومضات ومصادر الطاقة في الفضاء التي تعطي دوافع قصيرة ليست شيئاً جديداً بالنسبة لفيزياء النجوم ولكن الشيء الجديد هو نوع الطاقة أي الأشعة السينية وأيضاً الحقيقة وهي أن هذه الومضات يتوقف نشاطها بعد 7 . 1 يوماً لمدة أربع ساعات ولكنه يبدو فقط بهذا الشكل وكما أظهرت بعض الأبحاث الحديثة، فإن الأشعة السينية تحجب عن الأرض بواسطة أحد الكواكب في تشكيلة هيركوليس كل 7 . 1 يوماً وهذا الكوكب قد اكتشف في عام 1936 وأعطى لقب (هـ. ز) هيركوليس وبما أن هذا الكوكب يتغير تألقه ولمعانه كل 7 . 1 يوماً فإننا يمكن أن نستنتج أن (هـ . ز) هيركوليس ومصدر الأشعة السينية المجهول هما نجمان منفصلان يدور كل منهما حول الآخر كل 7 . 1 يوماً.

إن هذا لا يعني أننا نوحي للقارئ أن المصريين القدماء كانوا ينظرون إلى الفضاء خلال مناظير فلكية ذات مرايا للتفتيش عن نجوم جديدة ولكن من المحتمل بالتأكيد

أنهم قاموا بعمل ملاحظات وحللوا ردود الفعل هذه ضمن نظام معين وهنالك نقطة واحدة أخرى فقد توفر لديهم الوقت الكافي للبحث فقد كان الوقت الذي مضى بين بناء هرم خوفو وموت توت عنخ أمون هو نفس الزمن تقريباً الذي مضى بين ميلاد المسيح واكتشاف أميركا.

لم يكن الاعتزاز الطبقي في مصر مقصوراً على أسرة الفرعون فحسب حيث كان الذكور من النسل يعطون نفس اسم الأب لمدة أجيال وأجيال ولكن كان ذلك الاعتزاز عميق الجذور في وعي الكهنة والسحرة وإدراكهم فالبحث في مشكلة صغيرة واحدة كان يمتد عدة أجيال. فالإشكال كان ينتقل من الأب إلى الابن بالإضافة إلى التجارب التي اكتسبها الأب عند محاولته حل ذلك الإشكال ومن الأستاذ إلى تلميذه وكانت العلوم عند المصريين القدماء عبارة عن علوم تجريبية أكثر منها علوم بحوثية وإنَّ أوجه الإنشاءات المختلفة تظهر بوضوح فمن يشك أن شكل الهرم وموقعَه قد اختيرا على أساسٍ الخبرة المناسبة.

بعض أفكار ختامية:

لم نقصد بهذا الكتاب أن نبرهن بشكل المنتصر أن لعنة الفراعنة هي شيء حقيقي وموجود ولكن من الأفضل أن نقول: إنَّنا نقصد بهذا الكتاب أن يكون أولا بحثاً وراء الحقائق وثانياً فتح طرق ممكنة لتفسير هذه الحقائق فهل حوَّل المصريون القدماء قبور فراعنتهم عمداً إلى مصايد للموت بتركهم سموماً ذات فعالية تدوم حقباً طويلة تقدر بالقرون؟.

وباستعمالهم مواد مشعة؟ وبتسخير الطاقة الكونية فوق المشعة؟.

ومع ذلك فإن لعنة الفراعنة تبقى ظاهرة ليس لها أي تفسير نهائي، ظاهرة تمتد جذورها العميقة إلى مصر القديمة، تلك الحضارة التي تمتد إلينا خلال العصور لتعذب وتدحض وتذل غطرسة العلوم المعاصرة بأسرار الأهرامات والشعب الذي قام ببناء تلك الأهرامات.